مغالطات أركون في دعوته

إلى تجديد الخطاب الديني

قراءة في كتابه: (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)

دكتورة

خديجة امحمد عبد الله سعود

الجامعة الأسمرية _ ليبيا

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

كثرت الدعوة إلى التجديد في الآونة الأخيرة، فظهرت الأطروحات الداعية إليه، مع تضاد أفكارها ومفاهيمها ومقاصدها التي ترمي إليها، واستُخدم مصطلح (التجديد) في اتجاهين مختلفين بل متضادين، أحدهما يدعو إلى نبذ ما هو قديم ومعهود والإتيان بجديد، أما الآخر فيدعو إلى العودة لصفاء الدين والتمسك به.

وخرج علينا كتَّابُ الحداثة وما بعدها منادين بطرح ما هو قديم، وتجاوزه إلى جديد لا يعترف بصفاء الدين ولا العودة إليه، بل بجديد ينزاح فيه الدين أمام العقل البشري ليفكر في اللامفكر فيه_ حسب وصفهم_، ومن هؤلاء محمد أركون، الذي كتب عنه وعن مشاريعه الكثيرون، وأثنى البعضُ على كتاباته وعدُّوها في مصاف التجديد، فهذا هاشم صالح[1] قد وصفه بالمجدد، قال: "وأعتقد شخصيا ودون مبالغة، أنه المجدد الأكبر

---

١ ـ هاشم صالح وُلِدَ في اللاذقية ـ سوريا ١٩٥٠م "كاتب وباحث ومفكر ومترجم تنويري سوري، ويعد من أبرز المفكرين التنويريين العرب يهتم في قضايا التجديد الديني ونقد الأصولية ويناقش قضايا الحداثة وما بعدها، يكتب في جريدة الشرق الأوسط، عاش في فرنسا منذ الثمانينات ولمدة ثلاثة وثلاثون عاما في باريس وله العديد من الأعمال التي تعبر عن أفكاره. ويعيش الآن في المغرب . قام بترجمة الكثير من كتب محمد أركون إلى العربية وساهم في تعريف القراء العرب به وبأفكاره. و شارك في عدة لقاءات تلفزيونية عبر محطات عربية وغربية في شرح آراءه ونقد الواقع العربي المعاصر.". موسوعة ويكيبيديا الحرة. https://ar.wikipedia.org/wiki/

للإسلام في عصرنا الراهن"[1]، وهذا جمال البنا[2]، يقول عنه: "تدد بتقوقع الفكر الإسلامي وكشف عن سوءات المفسرين والمحدثين الخ.."[3].

التعريف بالكاتب:

(محمد أركون) ولد في تاوريت بالجزائر عام ١٩٢٨م لعائلة بربرية مسلمة فكان يتقن الأمازيغية، ثم انتقل إلى منطقة عين العرب، كان هذا إبان الاحتلال الفرنسي، الاحتلال الذي يعد احتلالا ثقافيا، فقد حاول أن ينشر الثقافة الفرنسية في المجتمع الجزائري المسلم، هناك تعلم أركون العربية والفرنسية وواصل تعليمه الثانوي في مدرسة مسيحية، وفي عام

---

١ ـ من مقاله المعنون:(من الإصلاح الديني إلى التنوير الفلسفي)، المنشور في صحيفة الشرق الأوسط: ع١١٦١٥ ، الخميس ٠٦ شوال ١٤٣١ هـ ١٦ سبتمبر ٢٠١٠م.

٢ ـ جمال البنا: "ولد ١٥ ديسمبر ١٩٢٠، المحمودية ـ توفي ٣٠ يناير ٢٠١٣ القاهرة، هو مفكر مصري. وهو الشقيق الأصغر لحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمون إلا أنه يختلف مع فكر هذه الجماعة.

صدر أول كتاب له بعنوان "ثلاث عقبات في الطريق إلى المجد" سنة ١٩٤٥م، وفي العام التالي ١٩٤٦م أصدر كتابه الثاني "ديمقراطية جديدة"، ثم توالت مؤلفاته في الصدور حتى تجاوزت مؤلفاته ومترجماته الـ١٥٠ كتابا. عمل محاضرًا في الجامعة العمالية والمعاهد المتخصصة منذ سنة ١٩٦٣م، وحتى سنة ١٩٩٣م. وعمل خبيرًا بمنظمة العمل العربية.".

موسوعة ويكيبيديا. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A_C%D9%85%D8%A7%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7

٣ ـ تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، جمال البنا: ٢١٦، دار الفكر الإسلامي، القاهرة ـ مصر.

١٩٥٤م التحق بجامعة السربون حيث نال درجة الدكتوراه عام ١٩٦٨م عن ابن مسكويه، فأصبح بعدها أستاذا للفكر الإسلامي في الجامعة ذاتها وأستاذا زائرا في عدد من الجامعات العالمية، من بينها معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن، وفي عام ١٩٩٩م أسس معهدا للدراسات الإسلامية في فرنسا، كتب أشهر كتاباته باللغة الفرنسية والإنجليزية، وترجمت إلى لغات عدة منها: العربية والهولندية والإندونيسية، مات أركون يوم الثلاثاء ١٤٣١/١٠/٠٦هـ - ٢٠١٠/٠٩/١٤م، ودفن على بُعْد خطوات من قبر محمد عابد الجابري، في مقبرة (الشهداء) بالرباط، بعد أن نُقل جثمانه من باريس على متن الخطوط الجوية الملكية المغربية لدفنه، وجاء اختيار المكان بناء على وصيته هو[١].

---

١ ـ ينظر كل من:

موسوعة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A3%D8%B1%D9%83%D9%88%D9%86

برنامج وثائقي للتعريف بأركون، من إنتاج الجزيرة الوثائقية.

https://www.youtube.com/watch?v=-q4yklfohu0

مقال لهاشم صالح، بعنوان: ذكرى محمّد أركون، على موقع: الحوار المتمدن، ع: ٣١٦٧ ـ ٢٠١٠ / ١٠ / ٢٧ ـ ٢٢:١٨. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=233336

موقع إذاعة الدولية ـ ٢٠١٠/٠٩/١٨م. http://www.doualia.com/2010/09/18/mohammed-arkoun-a-recommande-enterres-au-maroc/

مقال بعنوان: وفاة الكاتب "الفرنسي" محمد أركون ، لأحمد أبو عود. كتبه في ملتقى أهل التفسير.

https://vb.tafsir.net/tafsir22053/#.WLBL_BLalHg

نَظَّر أركون كثيرا من خلال كتاباته حول الإسلام والقرآن الكريم، ودعا إلى ما يراه تجديدا له، ولكنه إلى جانب ذلك حاول تطبيق تلك التنظيرات، ولعل من أبرز كتبه التي عرض فيها جوانب تطبيقية، هو كتاب (القرآن من التفسير الموروث إلى تجديد الخطاب الديني).

التعريف بالكتاب:

(القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، يبدو أن عنوان الكتاب دال على مضمونه إلى حد بعيد، فهو محاولة من المؤلف بالخروج من تفسير القرآن الكريم تفسيرا بحسب قواعد التفسير المعهودة ـ (الموروثة) حسب ما يسميها هو ـ إلى محاولة تفسيره بحسب التحليل الألسني والمنهجية البنيوية وما أنتجته العقلية الفلسفية الحداثية وما وراءها.

كتبه أركون بالفرنسية عدا المقدمة ـ كتبها بالعربية مباشرة ـ ثم قام هاشم صالح بترجمته، والتعليق عليه.

وجاء الكتاب في أربعة عناوين كلية:

- المكانة المعرفية والوظيفية المعيارية للوحي: مثال القرآن.
- موقف المشركين من ظاهرة الوحي.
- قراءة سورة الفاتحة.
- قراءة سورة الكهف.

وقد انطلق في دراسته التطبيقية في هذا الكتاب، من تفسير الطبري وتفسير الرازي، للخروج من التفسير الموروث، راميا بصره نحو ما تنتجه المناهج الأنثروبولوجية من نتائج.

مشكلة البحث:

يرى أركون أن الإسلام أو (الحدث الإسلامي) كما يحلو له تسميته أحيانا_ قد شُوِّهَ عبر القرون وعانى من التسلط السياسي أوالأدلجة، مما أدى إلى إنتاج إسلام أرثوذكسي جامد ومتقوقع على نفسه؛ لذلك لابد من الخروج من هذا السياج الدوغمائي المغلق، المتمثل في القواعد والأصول الدينية للإسلام، فالإسلام _ كما يتصور _ يضمن حقوق الإنسان ويتخلص من سلبيته إذا خرج من تلك الأصول والقواعد، ومن عباراته التي يصرح فيها بذلك: "ربما كان من الأفضل هنا أن يتحرر الفكر الإسلامي من نزعته القانونية والشكلانية المفرطة، ذلك أنك تعلم أن ما أحبه أنا شخصيا في الإسلام هو الصوفية وأعتقد أنه كانت إنسية صوفية (Humanisme mystique)، وهذه تتضمن حقوق الإنسان، فنحن لا يمكن أن نرى صوفيا يقتل جاره أو يستولي على امرأة جاره، وإلا لكان صوفيا مزيفا. ولكن الشيء السلبي قديما وحديثا هو إلحاحهم وتركيزهم المستمر على الجانب التشريعي والقانوني للوحي القرآني، وإهمال الجوانب الأخرى"[1]. وفي ذات السياق يجده القارئ _ في موضع آخر _ ناعيا على الإسلام لما يصنفه انغلاقا لمناهج التفسير عند المسلمين داخل الفضاء الإبستمولوجي القروسطي .....[2]

---

١ ـ الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون: ٣٢٧.

٢ ـ ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ١٤٥.

ولكن هذه الدعوة إلى نبذ القديم ماهي إلا دعوة للخروج عن ثوابت الدين والانسلاخ منه، بحجة التجديد، فقاده ذلك إلى الكتابة حول القرآن الكريم بمناهج غربية متعددة تعدد تنوعه اللغوي والثقافي.

أهداف البحث:

إن الهدف في هذا البحث هو الوقوف على المغالطات التي صدح بها أركون من خلال جانب من كتاباته وهو محاولة الدراسة التطبيقية، تلك التي كانت ضمن كتابه (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني).

أهمية البحث:

إن الأهمية الأولى لرصد مغالطات أركون هي تعرية أطروحاته الاستغرابية المنسلخة عن الثوابت الإسلامية، وتمييزها وتصنيفها التصنيف الصحيح تحت مسمى مغالطات وتجاوزات وليس تحت التجديد بمفهومه الصحيح.

المبحث الأول: مغالطات في اعتماد مفردات المنهج الأنثروبولوجي والفلسفي:

يقدم أركون منظومة متكاملة ومتداخلة من المناهج المستخدمة أو التي يرى أنه لابد من استخدامها للتجديد، فنظرته إلى القرآن الكريم كظاهرة اجتماعية أو ثقافية، سيؤدي بلا شك إلى تطبيق تلك المناهج المعتمدة في دراسة علم الاجتماع... بالإضافة إلى إطلاقه (الحدث الإسلامي)، بدلا من الإسلام؛ وذلك _ كما يعلل هو _ لأنه "يتيح لنا أن نصيب عدة أهداف في ضربة واحدة، فهو يتيح لنا تجدير الإسلام في التاريخ بدلا من أن يبقى مفهوما مثاليا مجردا خارج الزمان والمكان."[١].

إن أُولى النتائج الحتمية لانتهاج المنهج الأنثروبولوجي هو نزع القداسة، والتعامل مع القرآن الكريم كنص قابل لإخضاعه لأي مفردة من مفردات هذا المنهج؛ لذلك يطلق أركون (ظاهرة الوحي) على القرآن الكريم، والمراد بـ(الوحي) _ عنده _ القرآن الكريم تارة، وغيره من الديانات تارة أخرى، سواء أكانت سماوية محرفة أو وثنية.

ويؤكد أن دعوته لانتهاج المنهج الإنتروبولوجي لم تكن وليدة مرحلة من مراحل كتابته، بل دعا إليها بإلحاح منذ سنوات عديدة، فهي السبيل إلى الانفتاح العقلي وإخراجه مما يدعوه السياج الدوغمائي المغلق[٢].

ويرد على الاعتراضات المتوقعة، قائلا: "سوف يعترض علي اللاهوتيون المحترمون فورا زاعمين أني أريد أن أختزل كلام الله إلى مجرد مشروع

---

١ ـ الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، محمد أركون، ت: هاشم صالح: ١٠. دار الساقي.

٢ ـ ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ٦.

أنثروبولوجي مهدد بالإغراء الوضعي، وسأجيبهم كيلا أضيع وقتي في مناقشات مبدئية لا نهاية لها، بأن الشجرة تحاكم بناء على نوعية ثمارها. ظهرت مؤخرا دراسات عن النصوص التوراتية والإنجيلية، وقد برهنت على الحقيقة التالية: إن للقراءة الألسنية قيمة لا تضاهى من حيث التقشف والدقة والصرامة، فهي تجبرنا أن نظل محصورين داخل الحدود الصارمة للإمكانيات التعبيرية للغة، مع استبعاد كل المفترضات الصريحة والضمنية..."[1].

وهو بهذا المنهج يتساوى في نظره كل الأديان، يقول: "وهذه المرة لا يمكن استثناء أي نظام من أنظمة الحقيقة بحجة أنه إلهي منزل وغيره بشري زائل، أو دنيوي عرض، لا، فجميع التراثات الدينية سوف تخضع لمنهج النقد التاريخي والحضر الأركيولوجي[2] في الأعماق."[3].

---

١ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ١١٠ ، ١١١.

٢ ـ الأركيولوجيا : " (Archaeology) [أو علم الآثار] هي فرع علم الإنسان الذي يركز على المجتمعات والثقافات البشرية الماضية وليس الحاضرة . وتدرس (تحديداً) المصنوعات الحرفية كـ"الأدوات ، الأبنية ، الأوعية ..." أو ما بقي منها ، والتي استمرت بالتواجد للوقت الحاضر ، وأيضاً الأحافير الإنسانية . وتنظر إلى البيئات الماضية ، لكي يُفهَم مدى تأثير القوى الطبيعية كـ"المناخ والطعام المتواجد".
موسوعة ويكيبيديا. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA_%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86

٣ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ١٠.

نزع القداسة يقوده بدوره إلى النظر إلى القرآن الكريم نص ينقسم الخطاب فيه إلى مؤلف (الله ﷻ) الراوي ويقصد به (النبي ﷺ)، والمتلقي[1]، كل ذلك دون استخدام عبارات التأدب مع الله ﷻ أو الرسول ﷺ التي ربما يراها من ضمن ضرورات القطيعة الأبستومولوجية. ويقول في موضع آخر من الكتاب: ".... بقدر ما نهدف إلى فهم خيارات المتكلم أو الناطق"[2].

وفي سياق المنهج الأنثروبولوجي يأتي منهج النقد الفيلولوجي الألسني، فيرى أركون أهميته؛ لكونه مرحلة رئيسة في منظومة المنهج العام، فيقرر بأن إعادة قراءة النص القرآني " تمر بمراحل ثلاثة: أولا: مرحلة الدراسة اللسانية. ثانيا: مرحلة التعرف على البنية (الأسطورة) للقرآن. ثالثا: إعادة تقويم التراث التفسيري المتراكم."[3]. إذا بتأليفه لهذا الكتاب فهو يرى نفسه قد وصل المرحلة الثالثة من مراحل إعادة القراءة المنشودة عنده، ومع ذلك فهو يهتم بتطبيق المرحلتين، إذ هما جزءان لا ينفكان عن المنهج ككل.

وتأتي أهمية علم اللسانيات _ عند أركون _ هو التحرر من الأصول والقواعد الخاصة بالتفسير، يقول: "كان لهذا التحليل الفيلولوجي ميزة فتح

---

١ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ١٥٣.

٢ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون١٢٥.

٣ ـ مجلة "الثقافة الجديدة" المغربية، العدد ٢٦ ـ٢٧. السنة السادسة، بعنوان: الوحي والحقيقة والتاريخ.. نحو قراءة جديدة للقرآن، ت: العربي الوافي. نقلا عن: مقالتان في التأويل معالم في المنهج ورصد الانحراف، محمد أبو عاصي:٦٠ ، دار البصائر، القاهرة مصر، ط:١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠م.

حقل كامل من حقول البحث والتحري، وهو حقل كان كان مرفوض أو مجهولا من قبل روح الأرثوذكسية"[١].

إن المنهج اللغوي وتطبيق منهج اللسانيات من قبل أركون جعلته يقدم أحكاما تصل إلى ترجيحات لا يمكن الوصول إليها إلى عن طريق النظر في المأثور ـ حسب قواعد التفسير ـ، يقول:"وسوف نرى أن التحليل الألسني سيدعم بالأحرى موقف أولئك الذين كانوا ضد دمج الآية[٢] في الفاتحة."[٣].

١ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ١٤٩.

٢ ـ يقصد بها البسملة.

٣ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ١٢٤.

المبحث الثاني: مغالطات في منهج قراءة القصص القرآني :

القصص أو(Mythos)، والذي يراه أركون متمايزا عن (Logos)، يهتم به اهتماما مغايرا لما عليه المفسرون، إذ ينظر إليه من جانب المنهج الأنثروبولوجي، فجاءت نظرته كنظرة محمد أحمد خلف الله الذي قدَّمَ عام ١٩٤٧م رسالة للحصول على الدكتوراه عن (الفن القصصي في القرآن الكريم)، في كلية الآداب بجامعة فؤاد، نص خلالها على أن "الوقفات الطويلة وهذا التفكير المستمر جعل العقل الإسلامي يقرر أخيرا ويقرر في قوة أن التاريخ ليس من مقاصد القرآن وأن التمسك به خطر أي خطر على النبي عليه السلام وعلى القرآن بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة."[١].

فهو يؤكد على وجوب إضافة "ما اخترعه العقل الحديث في ما يتعلق بالمعرفة القصصية والمعرفة التاريخانية، مع التكميلات والتصحيحات التي أوضحها العلم الأنثروبولوجي وفلسفة الظاهرة الدينية كما نجدها في فكر (ما وراء الحداثة)."[٢].

ويرى أن الأسطورة "هي إحدى الطرق لانفتاح المعرفة على الإنسان، والأساطير المنتشرة لدى شعب من الشعوب تعلمنا الكثير عن أخلاقه وعاداته وحساسيته والمعرفة الأسطورية ليست خاصة بالمسلمين أو

---

١ ـ الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله: ٤٢، نقلا عن: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي: ٤٤٥، الرياض ـ السعودية، ط٢، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.

٢ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون :٩.

بالثقافة الإسلامية، وإنما هي ظاهرة أنثربولوجية. أي تشمل جميع الثقافات وجميع الشعوب."[1]

ولعل هذا التفريق من قبل أركون تفريق غير ذي جدوى، فالمؤدى واحد، وهو أن هذه القصص ليست من عند الله _ تعالى _، فهو يثني على أحمد خلف الله، على ما قدمه في رسالة الماجستير التي أثارت جدلا واسعا لشطحاتها، ويقول بأن القرآن الكريم ذو طابع قصصي، ويؤكد على ضرورة تقديم مفهومه هذا لأنه لو فُهِم عكس مراده؛ فإن الناس سيكفرونه _ على حد تعبيره_.

وجمال البنا مع مغالطاته، وتغريده مع مناهج استغرابية، يعترض على التفرقة المفتعلة بين (Mythos)، و(Logos)، يقول: "تقول إن كل كلام أركون عن الأسطورة وهي كما ذكرنا مفتاح فهمه للقرآن إنما هو تنظير للفكر الأوروبي الذي قام بعد استبعاد فكرة الله على الميثولوجيا (أي الأسطورة) اليونانية أولا. وقد أصاب القرآن الكريم المحز عندما نسب الأساطير للمشركين لأنها هي إيمانهم الحقيقي ولأن تفرقة أركون تفرقة مفتعلة فالأصل اللغوي واحد والعلاقة بينهما عضوية. بل قد نذهب إلى عكس ما ذهب إليه أركون فالأسطورة تبدأ خرافة لتنتهي إلى عقيدة بل قد نذهب إلى عكس ما ذهب إليه أركون فالأسطورة تبدأ خرافة لتنتهي إلى عقيدة ويحتمل أن يكون إيمان اليونان أيما سقراط وأفلاطون بالميثولوجيا اليونانية أقل مما رسبته هذه الميثولوجيا في الوجدان الأوروبي بل

١ ـ الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، أركون: ٣٣٢.

والمجتمع الأوروبي بكل علومه وآدابه وفنونه التي استعار لها أسماء شخوص وآلهة الميثولوجيا."[١].

وأيا كان المصطلح الذي يريد، وأيا كانت الترجمة، فهو يرى بأنها منتشرة لدى الشعوب جميعا وليست خاصة بالمسلمين، تعلمنا الكثير عن أخلاقه وعاداته وحساسيته، فهي ظاهرة أنثروبولوجية[٢].

ومن خلال تطبيقات أركون يظهر أنه يحاول تطبيق ما عليه أطروحات علم الاجتماع، بالتعامل معها تعامله مع الأساطير الواردة في التراث الاجتماعي على أنها نسق للإشارات والرموز من زاوية البناء اللغوي[٣]، لا على أنها حقيقة واقعة.

وبهذا يصل أركون إلى النتيجة القاضية بأن الاعتقاد الديني هو مخيال أو متخيل ديني وهو جزء من المخيال الاجتماعي ـ هو نتيجة طبيعة لما ينطلق منه وهو أن القرآن الكريم هو نص أسطوري البنية (Mythos)، أو قصصي البنية كما ينبه هو.

وللخروج من سلطة التفسير الموروث _ عند أركون _ جاء ناقدا لما جاء في تفسير الطبري من اعتبار أن القصة قد وقعت بالفعل، يقول "التفسير القديم يحول النص التلميحي، الإيحائي، المجازي، الرمزي، إلى شيء

---

١ ـ تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، جمال البنا:٢١٨، دار الفكر الإسلامي، القاهرة ـ مصر.

٢ ـ ينظر: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، نحند أركون، ت: محمد أركون: ٣٣٢.

٣ ـ لمزيد من التفصيل في معنى الأسطورة في علم الاجتماع_ ينظر: معجم علم الاجتماع المعاصر، د. معن خليل العمر: ٣٠٤، الشروق، عمان _ الأردن، ط٢، ٢٠٠٦م.

عادي جدا. كيف؟ عن طريق تفسيره بشكل واقعي صرف أو تحويله إلى خطاب عادي حيث تتراكم أسماء الأعلام والأشخاص والأماكن، وحيث تكثر الأحداث المهووسة بالتفاصيل الصغيرة، وحيث يحرصون على تحديد هوية الكائنات والحالات المختلفة بما فيها الحالات فوق الطبيعية"[1].

والمنهج الأنتروبولوجي يقوده _أيضا_ إلى أن يرى تفسير الطبري على أنه " وثيقة من الدرجة الأولى بالنسبة لعلم التاريخ"، لا على ما أدرجه من درجات الأحاديث والأخبار، فكل ما ورد فيه لا يعدو كونه تراثا تاريخيا لمجموعة من البشر، ولا يحتوى على نصوص ثابتة عن النبي ﷺ، وأخرى لم تثبت[2].

١ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون:١٦١.

٢ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون:١٥١.

المبحث الثالث: مغالطات في المفاهيم والمصطلحات:

يستخدم أركون في سياق كتابته _ التي يعدها تجديدا _ اصطلاحات ومفاهيم، تحمل مغالطات لا تقل خطورة عن تلك التي تقدمت الإشارة إليها في المبحث الأول.

ولعله يدرك غربة هذه الاصطلاحات، فيذكر اعتراض البعض عليها، يقول: "معظم الطلبة الذين قرؤوا كتبي يشكون من صعوبة فهم الجهاز المفهومي أو المصطلحي الذي أستخدمه وأواصل تجديده وإثراءه انطلاقا من النصوص والمؤلفات والتجارب الفكرية الإسلامية في الواقع"[1]. ويعلل ذلك بانعدام" الأرضية المفهومية والمعرفية الخاصة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية في اللغة العربية، أي لغة التلقي التي ينقل إليها فكر الحداثة، ناهيك عن جميع ما يخص بحوث ومناقشات ما وراء الحداثة"[2].

مصطلحا (السياج الدوغمائي المغلق) و(الأرثوذكسية)، مصطلحان يتقاربان في الدلالة عند أركون، فبينما يعبر عن كل ما له علاقة بقواعد تفسير القرآن الكريم بأنها دوغمائية، أو أنها سياج دوغمائي مغلق، تقيد العقل وتمنعه من الانطلاق إلى التجديد ومناسبة التفسير للقراءة العصرية وفتح آفاق جديد غير مفكر فيها في السابق، – يعبر بالأرثوذكسية على الالتزام بالقواعد والمناهج الإسلامية في دراسة العلوم الإسلامية.

وهو يستعملها في إطار التنديد بجمود الدراسات الإسلامية بمناهجها، فهي تجعل كل الدراسات سياجا دوغمائيا مغلقا، كما هو الحال في القرآن الكريم؛ لذلك فهو يدعو إلى إلغاء العطاء الفقهي والأصولي ويعتبره

---

١ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون:٩.

٢ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون:٩.

وساطة يجب إلغاؤها في الإسلام على غرار إلغائها في الديانات الأخرى، ويعد الأنبياء من ضمن الوسطاء الذين يجب إلغاؤهم. يقول: "إن مسألة الوساطة معترف بها، ولكن لم يفكر به قط بشكل صحيح أو مطابق من قبل جميع الأرثوذكسيات المتولدة عن الأيديولوجيات الكبرى التي حولت التاريخ وغيرت وجه التاريخ كل تراث الفكر التوحيد يعترف بوساطة الأنبياء، ثم وساطة رجال الدين "المأذونين" من أجل تحيين أو تجسيد كلام الله الموحى. ولكن هذا الاعتراف يضل على مستوى التصور من أجل الأيمان، أو لنقل بشكل أفضل، من أجل المخيال[1] الديني الذي لا ينفصل عن المخيال الاجتماعي"[2].

مصطلح (ظاهرة الوحي)، وهو اصطلاح يستخدمه أركون في غير موضع، فيرى أن دراسة الوحي يجب أن يتحول من دراسته كأيدولوجيا[3]، إلى دراسته كعلم[4]، وهنا يريد الانتقال من دراسة وتفسير القرآن الكريم

---

١ ـ المخيال والمتخيل ألفاظ تكررت كثيرا في كتابات أركون، Imagination، وهو "القوة التي تتصرف في الصورة المحسوسة، والمعاني الجزئية المنتزعة منها، وتصرفها فيها بالتركيب تارة، والتفصيل تارة أخرى، مثل إنسان ذي رأسين، أو عديم الرأس، وهذه القوة إذا استعملها العقل سميت مفكرة، كما أنها إذا استعملها الوهم والمحسوسات مطلقا سميت متخيلة" المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا: ٢/ ٣٢٥. الشركة العالمية للكتاب، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ١٤١٤هـ.

٢ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون :٧٢.

٣ ـ هي علم الأفكار وأصبحت تطلق الآن على علم الاجتماع السياسي.

٤ ـ برنامج مسارات.

https://www.youtube.com/watch?v=jFMyZun7T9s

بضوابط يراها وضعت كدعم سياسي لنظم سياسية _ إلى دراسته كعلم إنثروبولوجي يحتاج إلى دراسته كتراث يستفاد منه الاستفادة التي تجنى من قراءة الظواهر التاريخية.

وهو في هذا السياق لا يلقي بالا لتميز الإسلام عن غيره من الأديان بصفته منزل من عند الله تعالى، والأخرى محرفة كالمسيحية واليهودية أو من عند البشر كالبوذية، بل يصدق عليها وصف الظاهرة الدينية عنده، وتظل هذا التسوية تلح عليه في كتاباته، فبينما تظهر _ في هذا الكتاب _ محاولته لخوض مجال الدراسات التطبيقية لما ينظر له من ضرورة إعادة قراءة ما يسميه التراث الفكري الإسلامي، تبرز في سطور الكتاب تجاوزه الكلام حول الدراسات الإسلامية إلى غيرها؛ إذ ابتعد ليداخلها بدراسات وتعليقات حول أديان أخرى، وبخاصة المسيحية واليهودية؛ وذلك على حد قوله لإيجاد "تفكير ديني منفتح (من دون أسبقيات لاهوتية) على جميع التجارب الدينية البشرية"[١].

مصطلحا (المصحف) و(القرآن)، يفرق أركون بين المصحف والقرآن؛ إذ يرى أن القرآن الكريم هو ما كان متلوا قبل التدوين، أما المصحف فهو الكلام المدون، ويرى أن تدوين القرآن كان تحولا إلى الانغلاق الديني وجموده، يقول: "إن مفهوم الوحي في السياق القرآني قبل انتشار (المصحف الرسمي المغلق) كان أكثر اتساعا من حيث الآفاق والرؤية الدينية مما آل إليه انغلاق الفكر الإسلامي...."[٢].

ويرى أن من آثار هذا الانغلاق _ الابتعاد عن الوظيفة التأصيلية لمفهوم الوحي . [٣]

١ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ١١١.
٢ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون :٩.
٣ ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون :٩.

اصطلاح (الخطاب الإسلاموي الأصولي) و(القطيعة الأبستمولوجية)، يرى أركون أن تمت إسلاما تقليديا قديما منتشر كخطاب مميز للعصر الحديث في العالم الإسلامي، وسبب انتشاره هو استخدام الدين كأيدلوجيا للكفاح السياسي.[١]

يعونون بـ: (الأساطير والشعائر، والأديان في الشرق الأوسط القديم: ويمضي تحته قائلا عن القرآن الكريم: "وبين دراسة المجريات الأسلوبية التي استخدمها القرآن من أجل إعادة توظيف نتف متبعثرة من خطاب اجتماعي قديم بغية بناء قصر إيديولوجي جديد."[٢]**. ويشير في هامش هذا القول إلى قول لـ (كلود ليفي ـ ستروس)**[٣]**، "إن الفكر الأسطوري يبني قصوره الإيديولوجية بواسطة أنقاض خطاب اجتماعي قديم"**[٤]**.**

---

١ ـ ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ٩.

٢ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ١٠٨.

٣ ـ ولد كلود ليفي شتراوس في بلجيكا بمدينة بروكسل في ٢٨ نوفمبر ١٩٠٨، وتوفي في فرنسا في مدينة باريس في ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٩م. ويعد من أهم البنيويين المعاصرين، وأكثرهم شهرة، بل ان البنيوية ترتبط باسمه ارتباطا مباشرا. من مؤلفاته: العرق والتاريخ. (١٩٥٢) . (Race et Histoire) . الانتروبولوجيا البنيوية(ج.١) . (١٩٥٨) . (Antropología estructural). الانتروبولوجيا البنيوية(ج.٢) . (١٩٧٣) . (Antropología estructural). الاسطورة والمعنى . (١٩٧٨) . (Mito e Significado).
موسوعة ويكيبيديا
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%84%D9%88%D8%AF_%D9%84%D9%8A%D9%81%D9%8A_%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D9%88%D8%B3

٤ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون: ١٠٨.

ولكنه يرى أن هذا الاتجاه لا سبيل إلى التخلص منه إلا بـ(القطيعة الأبستمولوجية)، وهنا اصطلاح آخر وهو مصطلح طالما أكَّدَ عليه أركون لتجديد الفكر الإسلامي، وحاول تطبيقه في كتابه هذا. وبأوجَزِ عبارة فإن المصطلح في كتابه هذا يعني: "القطع مع التراث التفسيري والبدء من الصفر"[١]، ولقد أجاد سليمان الخراشي[٢] في وصفه هذا الاصطلاح الذي استخدمه أركون، تحت عنوان:(القطيعة المعرفية ماذا تعني؟)[٣]؛ وهو اصطلاح استخدمه عالم الاجتماع الفرنسي فوكو[٤]، للدلالة على تجاوز الأسس المعرفية السابقة، كما أصدر غيرَه من الاصطلاحات "سواء باستخدام مفردات قديمة بمعاني جديدة، أو بِنَحْت مصطلحات جديدة، مثل

---

١ ـ القراءة الحداثية للنص القرآني، دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، فاطمة الزهراء الناصري، مداخلة في ندوة: "الحداثة والهوية الثقافية، أية علاقة؟" يومي ٢٩-٣٠ أبريل/ ٢٠١١م.

٢ ـ أبو مصعب سليمان بن صالح الخراشي: اشتهر في الرد على العلمانيين، والعصرانيين، ودعاة تغريب المرأة المسلمة.

موقع الألوكة /http://majles.alukah.net/t166

٣ ـ يرجع: نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان الخراشي: ٥٨٠، ٥٨١.

٤ ـ ميشال فوكو (١٩٢٦ ـ ١٩٨٤) فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالبنيويين ودرس وحلل تاريخ الجنون في كتابه "تاريخ الجنون"، وعالج مواضيع مثل الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%8A%D8%B4%D8%A7%D9%84_%D9%81%D9%88%D9%83%D9%88

الخطاب، التدابير، أثريات المعرفة، الممتنع على التفكير، الابستيميه (épistèmé)"[1]، وترجم إلى العربية بـ(القطيعة المعرفية).

١ ـ مقال نشر في صحيفة: نزوى الإلكترونية، بعنوان: هكذا أقرأ ميشال فوكو، علي حرب ، ١٣ يوليو،٢٠١٥م. http://www.nizwa.com/%D9%87%D9%83%D8%B0%D8%A7-%D8%A3%D9%82%D8%B1%D8%A3-%D9%85%D9%8A%D8%B4%D8%A7%D9%84-%D9%81%D9%88%D9%83%D9%88

خاتمة:

يظهر من خلال القراءة في كتاب أركون أن الجابريَّ يعرض خليط المناهج التي دعا إليها، محاولا تقديم دراسة تطبيقية لها وخص سورتي الفاتحة والكهف بذلك، فتجلت خلالها مغالطات وليدة الاستغراب المطبق على المناهج الإسلامية الأصيلة، ومن أهم هذه المغالطات:

١. وصف التفسير ومناهجه جملة وتفصيلا، بالأنظمة الأورثوذكسية.

٢. التعامل مع القرآن الكريم كنص تراثي منزوع القداسة.

٣. الدعوة إلى التجديد بالدعوة إلى بالقطيعة المعرفية مع كل ما يتعلق بالقواعد والأصول الخاصة بالعلوم الإسلامية، ويمد جسر التواصل مع مناهج علوم الاجتماع ويتمثل منهج عالم الاجتماع ميشيل فوكو في غير موضع.

٤. يدعو إل دراسة تفسير الطبري دراسة إنثروبولوجية، بالرغم من أنه يصفه بالأرثوذكسية، وبالرغم من دعوته إلى القطيعة المعرفية.

٥. التفريق بين المصحف والقرآن الكريم، الذي يفهم منه أن هناك من القرآن ما لم يكتب في المصحف، وأن ما بين أيدينا الآن ليس قرآنا كاملا.

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

المـــراجع:

القرآن الكريم.

كتب:

١. الأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري. خالد كبير علال دراسة نقدية تحليلية هادفة، ط:١ ، ٢٠٠٨، بروت – لبنان.

٢. أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة–دراسة نقدية تحليلية هادفة–، خالد كبير علال دار الإمام مالك، ط:١، البليدة– الجزائر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، محمد أركون وآخرون، ت: هاشم صالح، دار الساقي، ط: ٢، ٢٠٠٠م.

٤. الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، محمد أركون، ت: هاشم صالح: ١٠. دار الساقي.

٥. الأعلام، نور الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط:١٥ ، ٢٠٠٢م.

٦. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر. من فيصل التفرقة إلى فصل المقال أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، محمد أركون، ت: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت . لبنان، ط:١، ١٩٩٥م.

٧. التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان محمد أمامة ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢٤هـ .

٨. . تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، جمال البنا: ٢١٦، دار الفكر الإسلامي، القاهرة . مصر.

٩. جولة في فكر د. محمد أركون ، إدريس ولد القابلة. نشر إلكترونيا: نوفمبر، ٢٠٠٣م.

١٠.الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ت: هاشم صالح. دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط: ٣، ١٩٩٨م.

١١.الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ت:هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط:٣، ١٩٩٨م.

١٢. معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، محمد أركون، ت. هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط:١، ٢٠٠١م.

١٣.المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا: ٣٣/١. الشركة العالمية للكتاب، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ١٤١٤هـ.

١٤.المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ١٤١٤هـ.

١٥.المعجم الفلسفي، مصطفى حسينة. دار أسامة للنشر والتوزيع، ط:١، ٢٠٠٩م.

١٦. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي: ٤٤٥، الرياض ـ السعودية، ط٢، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.

١٧.موسوعة ويكيبيديا الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki

١٨.نزعة الأنسنة في الفكر العربي، محمد أركون، ت: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط:١، ١٩٩٧م.

١٩.نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان الخراشي، مكتبة التوحيد، ط:١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

مواقع إلكترونية:

٢٠. موسوعة ويكيبيديا.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA_%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86

٢١. موقع إذاعة الدولية ـ
http://www.doualia.com/2010/09/18/mohammed-arkoun-a-recommande-enterres-au-maroc/ ٢٠١٠/٠٩/١٨م.

مقاطع مسجلة من اليوتيوب:

٢٢. فيديو مسجل لبرنامج (مسارات) على قناة الجزيرة.
https://www.youtube.com/watch?v=jFMyZun7T9s

٢٣. برنامج وثائقي للتعريف بأركون، من إنتاج الجزيرة الوثائقية.
https://www.youtube.com/watch?v=-q4yklfohu0

مقالات وبحوث علمية:

٢٤. القراءة الحداثية للنص القرآني، دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، فاطمة الزهراء الناصري، مداخلة في ندوة: "الحداثة والهوية الثقافية، أية علاقة؟" يومي ٢٩-٣٠ أبريل/ ٢٠١١م.

٢٥. مقال بعنوان:(من الإصلاح الديني إلى التنوير الفلسفي)، المنشور في صحيفة الشرق الأوسط: ع١١٦١٥ ، الخميس ٠٦ شوال ١٤٣١ هـ ١٦ سبتمبر ٢٠١٠م.

٢٦. مقال لهاشم صالح، بعنوان: ذكرى محمّد أركون، على موقع: الحوار المتمدن، ع: ٣١٦٧ - ٢٠١٠ / ١٠ / ٢٧ - ٢٢:١٨.
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=233336

٢٧. مقال بعنوان: وفاة الكاتب "الفرنسي" محمد أركون ، لأحمد أبو عود. كتبه في ملتقى أهل التفسير.

https://vb.tafsir.net/tafsir22053/#.WLBL_BLalHg